الاستراتيجيّة التلميحيّة في ضوء الأفعال الكلاميّة غير المباشرة في بعض رسائل الإمام عليّ (ع)

علي باقري(*)

د. علي أكبر نورسيده(**)

د. علي ضيغمي(***)

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٣/٧/٨

تاريخ القبول: ٢٠٢٣ /١٠/٨

الملخّص

تكمن في أيّ خطاب استراتيجيّة خاصّة به، فكلّ مرسل يعمد إلى اتّخاذها وفقًا لمقاصده وظروف الخطاب والسياق الذي ورد فيه. فهذه الاستراتيجيّات تنقسم إلى المباشرة التي ينجز فيها الفعل الكلاميّ في بنية الخطاب، وغير المباشرة التي ينجز فيها الفعل الكلاميّ ضمن الخطاب، فهذه الأخيرة تسمّى بالاستراتيجيّة التلميحيّة التي يتمّ بها تحديد القصد من خلال الاستلزام مقاميًّا. فبما أنّ الأفعال الكلاميّة تنحصر قوّتها الإنجازيّة في الحرفيّة تارة وتارة أخرى في الاستلزاميّة، فالاستراتيجيّة التلميحيّة تناسب الإنجازيّات المستلزمة وكيفيّة التعبير عن معانيها. تناولت هذه المقالة الأفعال الكلاميّة غير المباشرة

(*) طالب الدكتوراه، فرع اللغة العربية وآدابها، جامعة سمنان، سمنان، ايران.

(**) على اكبر نورسيده (الكاتب المسؤول): الأستاذ المساعد في اللغة العربية وآدابها، جامعة سمنان، سمنان، ايران، noresideh@semnan.ac.ir

(***) علي ضيغمي: الأستاذ المشارك في اللغة العربية وآدابها، جامعة سمنان، سمنان، ايران.

في بعض الرسائل السياسيّة لنهج البلاغة بناءً على نظريّة جون سيرل، كما عالجت قوّتها الإنجازيّة في الاستراتيجيّة التليمحيّة اعتماداً على المنهج التداوليّ لتوفّرها من إجراءات لغويّة وسياقيّة في ضوء الوصف والتحليل. توصّلت الدراسة إلى أنّ الإمام عليه السلام في خطابه قد اتّخذ هذه الاستراتيجيّة وجاء بالأفعال الكلاميّة غير المباشرة، لإنجاز مقاصده التلميحيّة من التذكير والتقريع والإرشاد. ذلك لكونها تعتمد على ثنائيّة الإظهار، والإضمار عن طريق انتقالها من القوّة الحرفيّة إلى القوّة الاستلزاميّة، فبما أنّ خطاب الإمام عليه السلام في الرسائل يكون خطابًا سياسيًّا أكثر وقوّته مبنيّة على الحجّة والدليل فهذه الاستراتيجيّة أنسب للتأثير في المتلقّي ونجاعة مسار إقناعه.

الكلمات المفتاحية: رسائل نهج البلاغة، التداوليّة، الأفعال الكلاميّة، الاستراتيجيّة التلميحيّة.

١- المقدمة

يتعلّق كلّ خطاب بالمعنى الذي ينتجه مرسله عند عمليّة التلفّظ به وكيفيّة تلقّيه من جانب المتلقّي؛ ولكي يتمّ التأويل في خطاب ما، لا بدّ أن نكشف عمّا يدور في ذهن المرسل الذي يملك كفاءات تداوليّة ومرجعيّات تساعد على إنتاج خطابه، كما تساعد على جلب المتلقي إلى مشاركته في ذلك، ثمّ التأثير فيه وإقناعه، فلهذا كلّه يلزم المرسل باختيار استرتيجيّة تناسب السياق وظروف إنتاج خطابه؛ ليتحدّد بذلك المستوى البلاغيّ والإبلاغيّ لخطابه، لذا قد يقوم بالامتزاج بين العبارات المباشرة وغير المباشرة، ليتمكّن بذلك من بناء أفكاره ومقاصده. هذا ما يسمّى بالإستراتيجيّة الخطابيّة.

إنّ الإستراتيجيّات الخطابيّة تتنوّع وتختلف بحسب ظروف الخطاب وسياقه وملابساته المختلفة، فقد يقتضي السياق توظيف الإستراتيجية الخطابيّة التضامنيّة مثلًا، حين قصد المرسل بناء علاقة حسنة مع مرسل إليه لإبلاغ الخطاب، أو قد يستخدم الإستراتيجيّة التوجيهيّة مثلًا، إذا كانت غايته تحقّق بعض الأعمال الإنجازيّة من غير مراعاة الاعتبارات القائمة بين المرسل والمرسل إليه، وقد يلجأ المرسل بالاستراتيجيّة

التلميحيّة، حين يقصد إلى عدم التصريح بالقصد. لا شكّ أنّ رصد الإستراتيجيّات الخطابيّة في أيّ نصّ أو خطاب، لا يخرج في الدرجة الأولى عن رصد الأدوات اللغويّة المستخدَمة فيه، وفي الدرجة الثانية لا يخرج عن الاتّجاهات التداوليّة من الإشاريّات والحجاجيّة والأفعال الكلاميّة وغيرها من الاتّجاهات. هذه المقالة تتناول الاستراتيجيّة التلميحيّة والكشف عنها في رسائل نهج البلاغة، فبما أنّ الإمام علي عليه السلام في رسائل نهج البلاغة يقوم على قصد معيّن راميًا إلى التغيير وإصلاح الأمور فاتّخاذ استراتيجيّة خطابيّة مناسبة تعدّ له عاملًا أساسيًا، وهذا من جهة، ومن جهة أخرى يلجأ أحيانًا في خطابه إلى أسلوب غير مباشر ويكتفي بالتلميح وعدم التصريح بقصده، وذلك بتوظيف الآليات اللغويّة مثل الاستعارة، والكناية، والأسلوب الخبريّ والإنشائيّ وهي تقتضي فعاليّة المخاطب وفضوليّته لأجل تبيين مقاصد المتكلّم وبيان المعاني التي يتطلّبها السياق، هادفًا إلى التواصل والتفاعل مع خطابه من طريق المشاركة في تحديد دلالات الكلام الذي يرسل إليه، بغية تحليلها ومعرفة غايات ومقاصد الخطاب التي يرمي إليها الخطاب. فعلى هذا الأساس، فلا بدّ للتوصّل إلى تلك المقاصد التلميحية بالتركيز على الأفعال الكلاميّة غير المباشرة، بوصفها أدة من أدوات لغويّة يختارها المرسل لتوظيف الاستراتيجيّة التلميحيّة استجابةً لدواع سياقيّة تؤدّي إلى اللجوء إلى خطاب تلميحيّ. لذا فإنّ **أهمية البحث** تكمن في الكشف عمّا يلمح إليه بتلك الأفعال الكلاميّة غير المباشرة في خطاب الرسائل بوصفها خطابًا تواصليًا لم تنتج عفويًا أو تلقائيًا بل إنّها تُعدّ خطابًا متقنًا محمولًا لخطّة معيّنة، ليؤثّر في المتلقّي بوصفه محورًا للخطاب عند الإمام علي عليه السلام، وكانت قصديّته إقناع ذلك العنصر المعارض والمتعنّت أحيانًا، ولا سيّما في العصر الذي عصفت فيه الشبهات وأهواء النفس والمحن.

١-٢- أسئلة البحث

- ما هي الأفعال الكلاميّة غير المباشرة التي تقوم على استراتيجيّة التلميح عند الإمام عليّ عليه السلام؟

- كيف تدرس الأبعاد الدلاليّة في استراتيجيّة التلميح في خطاب رسائل الإمام عليّ عليه السلام؟

١-٣- فرضيّات البحث

- يبدو أنّ الأفعال الكلاميّة غير المباشرة مثل الإرشاد، والتحذير تلمح إلى مقاصد الإمام عليه السلام في خطابه.
- بما أنّ خطاب الإمام عليه السلام بُني على أساس البيئات المختلفة، فلذلك لا ينحصر على دلالة واحدة.

١-٤- سوابق البحث

لم نعثر على دراسة قامت بتسليط الضوء على رسائل نهج البلاغة من حيث الأفعال الكلاميّة غير المباشرة والآليات الحجاجيّة. مع ذلك هناك دراسات قد عالجت نهج البلاغة من ناحية الأفعال الكلاميّة، منها:

- مقالة: «القصديّة في رسائل الإمام عليّ عليه السلام إلى معاوية في ضوء الأفعال الكلاميّة» (١٣٩٩ش)، بقلم نورسيده وآخرين. تبحث هذه المقالة عن مقاصد الإمام علي عليه السلام في مراسلاته مع معاوية، اعتمادًا على الأفعال الكلاميّة وقوّتها الإنجازيّة في التصنيفات الخمسة لجون سيرل. فتوصّلت إلى أنّ الأفعال الكلاميّة في رسائل الإمام عليه السلام لمعاوية تأتي في غالبيّتها على الفعل الإخباريّ ثمّ التوجيهيّ وثمّ الالتزاميّ وتأتي على أسلوب غير مباشر حيث تحمل طاقات إنجازيّة لتوجيه مخاطبه والتأثير فيه.

- مقالة: «**بررسی و طبقه بندی خطبه های نهج البلاغه از دیدگاه نظریه کنش گفتاری**» (**١٣٩٣ش**)، بقلم طباطبائي وقاسمي. هذا البحث تناول خطب نهج البلاغة بمنهج إحصائيّ واعتمادًا على نظريّة الأفعال الكلاميّة. ومن نتائجه أنّ الإمام يحاول التغيير في تصرّفات متلقّيه والتحوّل في العالم الخارجيّ.

- مقالة: «**تحلیل خطبه پنجاه و یکم نهج البلاغه براساس طبقه بندی سرل از کنش های گفتاری**» (**١٣٩٠ش**)، بقلم فضائلي ونگارش. هذه المقالة تناولت الخطبة

المذكورة في نهج البلاغة على أساس نظريّة الأفعال الكلاميّة لجون سيرل. في النهاية وصلت إلى أنّ المعاني في هذه الخطبة جاءت على أسلوب غير المباشرة والأفعال الكلاميّة غير المباشرة أكثر من مباشرة.

- مقالة: «**بررسی وتحلیل کنش های گفتار درخطبه یکصدوچهارده نهج البلاغه**» **(١٣٩٥ش)**، بقلم نجاتيان بستاني، عباس نژاد. هذه المقالة قامت بدراسة الخطبة المذكورة في نهج البلاغة على أساس نظريّة جون سيرل في الأفعال الكلامية. ومن نتائجها أنّ الإمام علي عليه السلام حاول أن ينقل أفكاره ومقاصده من خلال الأفعال الإنجازيّة الترغيبية والإخبارية والعاطفية.

- مقالة: «**بررسی منظورشناختی افعال کنشی و قطعی در نهج البلاغه**» **(١٣٩٦ش)**، بقلم قهرماني وتواضعي. هذه المقالة قامت بتسليط الضوء على بعض خطب نهج البلاغة اعتمادًا على نظريّة الأفعال الكلاميّة لجون آستين وتصنيفات جون سيرل. فتوصّلت إلى أنّ الإمام علي عليه السلام يكثر من استخدام الأفعال الإنجازيّة الإخباريّة ثمّ جاء بالأفعال الإنجازيّة الترغيبيّة وهذا يعود إلى الظروف السياسيّة والاجتماعيّة آنذاك.

- رسالة «**أفعال الكلام في نهج البلاغة للإمام علي رضي الله عنه- دراسة تداوليّة -**» **(٢٠١٣م)**، أحلام صولح. حاولت هذه الرسالة في ثلاثة فصول تطبيق الأفعال الكلاميّة هذه على بعض خطب الإمام علي عليه السلام.

- مقالة «**الأفعال الكلاميّة غير المباشرة في جوابات الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة ومستدركه**» (٢٠٢٣م)، بقلم مهند بديع ناجي. هذه المقالة تناولت الأفعال الكلاميّة غير المباشرة في خطب نهج البلاغة ورسائله والتي تمثّلت في إجابات الإمام عليه السلام لمخاطبيه. في هذا الصدد تمّ اختيار أسلوب الخبر والإنشاء في غالبية الأمثلة ومحاولة تحليلها في ضوء مبدأ التأدّب المبنى على الترفق بالآخر كمخاطبه.

وجوه الاختلاف بين دراستنا والدراسة المذكورة: إنّ مقالتنا ركّزت على الرسائل دون الخطب والأمثال أوّلًا. وثانيًا تمثّلت فيها الأفعال الكلاميّة غير المباشرة في الأسلوب

الخبريّ والإنشائيّ والاستعارة والكناية. ثالثًا تمّت دراسة الرسائل العلويّة في ضوء نموذج سيرل من الأفعال الكلاميّة دون الاكتراث بمبدأ خاصّ كمبدأ التأدّب أو مبدأ التواجه أو أيّ مبدأ آخر. رابعًا إنّ دراستنا توصّلت إلى النتائج اعتمادًا على الأمثلة المختارة المدروسة في نصّ المقالة ثمّ على الإحصاء الذي تمّ في كلّ الرسائل السياسيّة.

فانطلاقًا من هذا كلّه إنّ اختلاف هذه المقالة عن غيرها من الدراسات السابقة يكون في مادّة بحثنا أولًا، حيث إنّ غالبية الدراسات السابقة تكون في خطب نهج البلاغة، ثانيًا إنّها قد ركزّت على التصنيفات الخمسة في نظريّة جون سيرل من دون التركيز على الفعل الكلاميّ غير المباشر. غير أنّ هذه المقالة تدرس خطاب أمير المؤمنين عليه السلام في الرسائل السياسيّة لنهج البلاغة مثل رسائله إلى معاوية وبعض عمّاله من مالك الأشتر وعثمان بن حنيف وغيرهم من العمّال. تتمّ معالجة الرسائل في **المنهج التداولي** على أساس الوصف والتحليل، حيث إنّها تقوم بدراسة الأفعال الكلاميّة غير المباشرة والاستراتيجيّة التلميحيّة التي يستخدمها الإمام علي عليه السلام لإنجاز هذه الأفعال في رسائله. بعبارة أدقّ إنّ الأفعال الكلاميّة غير المباشرة تتوقّف على المقاصد الضمنيّة من دون الحرفيّة للمرسل والاستراتيجيّة المناسبة لهذه الأفعال تكون تلميحيّة، فإذًاهذه المقالة تعالج استراتيجيّة الإمام علي عليه السلام هذه في ضوء الأفعال الكلاميّة غير المباشرة.

٢- القسم النظري:

٢-١. الأفعال الكلاميّة

عند الحديث عن نظريّة الأفعال الكلاميّة نصل إلى جون أوستين بوصفه أوّل رافد في إعلان التفريق بين **الصدقيّة** (الوصفيّة) و**الفعليّة** (الإنجازيّة)، حيث استنتج أوستين أنّ كلّ العبارات اللغويّة قابلة؛ لأن تكون أفعالًا إنجازيّة. إنّ الفعل الكلاميّ هو التصرّف الإراديّ الذي ينجزه الإنسان بالكلام، ومن ثم الإنجاز الذي يؤدّيه المتكلّم بمجرّد تلفظه بملفوظات معيّنة، ومن أمثلته الأمر والنهي والوعد والسؤال، والتعيين،

والإحالة والتعزية والتهنئة ... فهذه جميعها أفعال كلاميّة (صحراوي، ٢٠٠٤: ١٩٩). هذه الظاهرة كانت ردًا على آراء الفلاسفة الذين ركّزوا في العبارات الوصفيّة التي تقبل الحكم بالصدق والكذب. على هذا الأساس جاء بعده تلميذه جان سيرل بوصفه رافدًا آخر من روافد التنظير لهذه النظريّة والذي يهتمّ في تخريجاته بمحاضرات أستاذه أوستين؛ إذ كرّس جهوده لإعادة النظر في نظريّة أفعال الكلام من خلال ارتباطها بالقصد والعرفَين اللغويّ والاجتماعيّ والسياق على وجه الخصوص، فإنّ «الفعل الكلاميّ يتعلّق بمقاصد العبارة أو بمقاصد المتكلّم الخارجة عن العبارة، كما يتعلّق بالسياق أو الموقف المحيط» (روبول، موشلار، ٢٠٠٣م: ٢٦٧). وهذا يعني أنّ كلّ عبارة لا تخرج عن مستويين: مستوى مقالي، ومستوى مقامي. هذان المستويان تمثل فيهما بنية الفعل الكلامي من الفعل القوليّ، والفعل الإنجازيّ، والفعل التأثيريّ. هذه الأفعال الثلاثة تستخدم لتطويع التجربة التواصليّة والتفاعليّة بين الذات (المتكلم) والآخر (المخاطب). فعلى هذا إنّ الذات والآخر مصطلحان يتمثّلان في الجدليّة وتحقّق العمليّة التواصليّة، لكن ما يجب أن يُلاحظ تمامًا هو أنّ المصطلحين يكمّلان بعضهما البعض في كافّة التعاريف منها الفلسفيّة والاجتماعيّة واللسانيّة بما فيها التداوليّة، فالعلاقة بين الأنا والآخر علاقة وثيقة ومتماسكة يحتاج فيها كلّ من الجانبين إلى الآخر (پورحمدانيان، قهرماني مقبل، ٢٠٢٣: ٢٥٦)؛ لتكملة عمليّة التواصل المتمثّلة فيها الأفعال الكلاميّة.

فبخصوص هذه الميّزة، انصبّ اهتمامُ سيرل على التمييز بين فعل الإنجاز والمنطوق الذي يعرف بالفعل القوليّ أو اللفظيّ، حيث عمد سيرل إلى جعل مقياس القصد مقياسًا أساسيًّا في مطابقة القول والإنجاز أو عدم المطابقة. كما أنّه خطا في هذا المجال خطوة أخرى واسعة تتمثّل في التمييز بين ما هو صريح وما هو ضمني، وهو ما يعرف في فلسفة سيرل بالأفعال الإنجازيّة المباشرة وغير المباشرة، أو الحرفيّة وغير الحرفيّة. وهكذا يعترف سيرل بنوعين من الأفعال الكلاميّة على أساس قوّتها الإنجازيّة وهي المباشرة وغير المباشرة.

٢-١-١. الأفعال الإنجازيّة المباشرة

وهي أفعال تتمثّل قوّتها الإنجازيّة في مطابقتها لقصد المتكلّم الذي يؤدّي القصدَ بشكل حرفيّ في الكلمات والجملات. يعني أنّ ما يقول المرسل يكون مطابقًا لقصده الحقيقيّ، أي الجملة أو العبارة التي يتمثّل فيها الفعل، تحمل معانيَ صريحة، فالمنوال المفهومى للأفعال الإنجازية الصريحة يتحقق عندما يطابق الفعل الإنجازي قصد المتكلم، فيكون معنى ما ينطقه مطابقاً مطابقة حرفية لما يريد أن يقول (المصدر نفسه، ٢٨٦). الفعل في هذا النوع من الأفعال يكون صريح الدلالة على القصد الإنجازي أو الأدائي فيتمّ تأويل أفعال الكلام المباشرة بشكل جليّ من الصيغة الظاهريّة المقاليّة دون الاهتمام بالصيغة المقاميّة. لقد اقترح سيرل أن تسمّى الأفعال الإنجازيّة المباشرة بالإنجازات البسيطة وفيما يكون قصد المتكلّم مساويًا لما نطق به، أي مساويًا للبنية اللغويّة ويكون فيها القوّة الإنجازيّة واحدة، والمقصود معنى واحد، وهو المعنى الحرفيّ للخطاب (إسماعيلي علوي، ٢٠١٤: ١١٢)، فليست الأفعال الكلاميّة أو الإنجازيّة المباشرة إلّا وسيلة لتحقّق الفعل نفسه وهي وسيلة وضعتها اللغة ليتمّ التعبير عن البعد الحقيقيّ لذلك الفعل، وليجعل تحقيقه ممكنًا. وهذا بمعنى أنّ الفعل الإنجازيّ المباشر غرضه الإنجازيّ ومقصد المتكلّم محدّد وواضح لا يحتاج إلى تأويل ولا تفسير بل يفهم بمعنى واحد وليس له معان إضافيّة.

٢-١-٢. الأفعال الإنجازيّة غير المباشرة

وهي أفعال يلمح ناطقها بالقصد بشكل ضمني وغير ظاهري، ويعبّر عنها بأساليب وعبارات يكون المقصود منها غير دلالاتها السطحيّة. في هذه الأفعال تكون «إمكانيّة قول شيء من جانب المتحدّث يحمل ما يقوله من معنى كما يحمل معنى إضافياً آخر» (أحمد نحلة، ٢٠٠٢م: ٨١؛ سيرل، ٢٠٠٦م: ٢٠٣). القوة الإنجازيّة في هذا النمط من الأفعال لا تطابق مع قصد المرسل، حيث إنّ الأفعال الإنجازيّة غير المباشرة هي «الأفعال التي تخالف فيها قوّتهـا الإنجازيّة قصد المتكلّم، وهذه الأفعال لا تدلّ صورتها التركيبيّة على زيادة في المعنى الحرفيّ الإنجازيّ، وإنّما الزيادة متأتية من معنى

المتكلّم» (ادراوي، ٢٠١١م: ٩٠). وفي تعريف آخر للأفعال الإنجازيّة غير المباشرة قيل بأنّها الأفعال ذات المعاني الضمنيّة التي لا تدلّ عليها صيغة الجملة بالضرورة، ولكن للسياق دخلاً في تحديدها والتوجيه إليها، وهي تشتمل على معان عرفيّة وحواريّة (حجي الصراف، ٢٠١٠م: ١٢٥). في الأفعال الإنجازيّة غير المباشرة يستطيع المتكلّم أن يبلغ المتلقّي أكثرَ مما يقوله بالفعل، باستناده إلى معلومات خلفيّة لغويّة أم غير لغويّة مشتركة بينهما، وباستناده إلى مقدّرات المتلقي الاستدلاليّة. فمن هنا نفهم أنّ الأفعال الكلاميّة غير المباشرة لها صلة بالاستراتيجيّة التلميحيّة.

يبدو أنّ سيرل قدّم تقسيمه على أساس القصد في الفعل الكلاميّ وهو القصد الحرفيّ والقصد الإنجازيّ؛ وفي الأوّل أنّ القصد لا يختلف عمّا يقول المتكلّم ويمكن الكشف عنه دون الاهتمام بالسياق فيعرف بالفعل الإنجازيّ المباشر. وفي الثاني يختلف قصد المرسل عمّا يرسله، حيث يتلفّظ المتكلّم بجملة ولكن يقصد شئيًا آخر.

٢-٢. الاستراتيجيّة التلميحيّة وآليّاتها اللغويّة

قد يقوم الإنسان بالتعبير عن أفكاره ومقاصده من خلال اللغة بطريقة مباشرة تارة والتي تطابق مع دلالة الخطاب شكلًا، حيث إنّ قصد المتكلم يتمثّل فعلًا في الكلمات والعبارات التي تكوّن الخطاب ويستطيع المتلقّي الوصول إلى قصد المرسل لإدراك الخطاب اللغويّ من دون الاهتمام بظروفه وملابساته، وتارة أخرى يهتمّ بأداء المعنى ونقل الأفكار بطريقة غير مباشرة، حيث يختلف معنى الكلمات والجملات عن مراد المتكلّم، ففي هذه الحالة يستعمل المرسل استراتيجيّة غير مباشرة يلمّح من خلالها بقصده وغرضه تلويحًا، بحيث يحتاج المتلقي، للوصول إلى ذلك القصد، إلى السياق غير اللغويّ والاستدلالات القويّة. هذه الاستراتيجية تسمّى بالاستراتيجيّة التلميحيّة.

والتلميح -في مفهومه العام- عند البلاغيين القدامى يُعدُّ إشارةً أو علامةً تحيل هذا الخطاب إلى خطاب آخر (الكوفحي، ٢٠١٦م: ١٧٤٢)، فإذًا التلميح آليّة يستخدمها مرسل الخطاب ليعبّر عن قصده بما يختلف عن معنى الخطاب ظاهريًّا. فالاستراتيجيّة

التلميحيّة على هذا المنوال تكون استراتيجيّة يحتاج فهمها إلى الانتقال من المعنى الحرفيّ للخطاب إلى المعنى المضمر الذي يدلّ عليه عادة السياقُ بمعناه العام. في هذه الاستراتيجيّة تتمثّل الدلالات في مكامن الخطاب، فيحتاج معها المرسل إليه إلى إعمال آليّات الاستدلال للوصول إلى القصد الأصليّ (انظر: الشهري، ٢٠٠٤م: ٢٥٨ و٤٤٤؛ مقبول، ٢٠١٤م: ٥٤٣ -٥٥١؛ يول،٢٠١٠م: ١٠٤-١٠٧). فالمرسل بهذه الاستراتيجيّة يعبّر عن أفكاره بصورة ضمنيّة والمتلقي أيضًا يواجه الأقوال المضمرة والمعاني الضمنيّة، فمن هنا يعتمد للوصول إلى المعنى الحقيقيّ على مقدرته الاستدلاليّة والمعرفات المشتركة بينه وبين المرسل. وفي تعريف آخر، إنّ الإستراتيجيّة التلميحيّة «بأنّها الاستراتيجيّة التي يعبّر بها المرسل عن القصد بما يغاير معنى الخطاب الحرفيّ، لينجز بها أكثر ممّا يقوله، إذ يتجاوز قصده مجرّد المعنى الحرفيّ لخطابه، فيعبّر عنه بغير ما يقف عنده اللفظ مستثمرًا في ذلك عناصر السياق» (الشهري، ٢٠٠٤م: ٣٧٠).

ومن أهمّ الآليّات اللغويّة للاستراتيجيّة التلميحيّة هي الأفعال الكلاميّة غير المباشرة التي يستعملها المرسل للتعبير عن أفكاره ومقاصده بشكل غير ظاهريّ حيث إنّه يتجاوز المعنى الحرفيّ إلى المعنى الاستلزاميّ الذي يقتضيه السياق. وتعتمد الاستراتيجيّة التلميحيّة بشكل عامّ على الأقوال المستلزمة دون الحرفيّة في الخطاب والتي يحتاج المتلقّي إليها لتأويل الخطاب بالاعتماد على قرينة السياق والمناسبة التي يطّلع عليها كلّ من الملقي والمتلقّي، فذلك للتعرّف على القول المضمر ينبغي الاعتماد على السياق والاستعانة بقوانين الخطاب فحسب (حمو الحاج، ٢٠١٢م: ١٣٥). في هذه الحالة خرجت المعطيات اللغويّة عن دلالتها الحقيقيّة إلى دلالات خفيّة تحمل طبيعة غير مستقرّة توافق السياق الذي تصدر عنه، كما على المرسل إخفاء قصده وراءها، فلهذا يستخدم الاستراتيجيّة المناسبة لتلك الدلالات والتي تعرف بالتلميحيّة حيث «يعبّر فيها المرسل من غير طريق التصريح المباشر والدلالة الظاهرة، بل يختار أن ينقل قصده بطرق دلاليّة غير مباشرة (التضمين والاقتضاء مثلًا) يحتاج معها المرسل إليه إلى إعمال آليّات الاستدلال للوصول إلى القصد الأصليّ، فهي إستراتيجيّة يحتاج فهمها إلى

الانتقال من المعنى الحرفيّ للخطاب إلى المعنى المضمر الذي يدلّ عليه عادة السياق بمعناه العام» (المقبول، ٢٠١٤م: ٥٥١).

وعلى هذا الأساس يبيّن لنا أنّ هناك قرابة بين الأفعال الكلاميّة غير المباشرة والاستراتيجيّة التلميحيّة، حيث إنّ كلّ الأفعال الكلاميّة غير المباشرة تتّخذ قوّتها الإنجازيّة من المعنى الضمنيّ أو من القوّة الاستلزاميّة لا القوّة الحرفيّة، كما أنّ المرسل من خلال الاستراتيجيّة التلميحيّة يتجاوز قصده من صيغة العبارة ويلمّح به مستثمرًا عناصر السياق، وعليه فيمكن القول: إنّ الأفعال الكلاميّة غير المباشرة والاستراتيجيّة التلميحيّة تشتركان في صفة الاستلزام أو المعنى الاستلزاميّ الذي يقصده المتكلّم عن طريق قول شيء آخر.

٣. القسم التحليليّ: بحث ودراسة

٣-١. الاستراتيجيّة التلميحيّة في الأفعال الكلاميّة غير المباشرة في الرسائل السياسيّة لنهج البلاغة

ومن أهمّ الاستراتيجيّات التي استعملها الإمام عليه السلام في إنتاج الأفعال الكلاميّة لخطاب الرسائل السياسيّة هي الاستراتيجيّة التلميحيّة؛ لأجل تقوية كلامه وتأثيره على المتلقّي في الأغراض المتباينة. من هنا يتمّ تسليط الضوء على بعض مقاصد الإمام عليه السلام في خطاب الإمام عليه السلام في ضوء استراتيجيّته التلميحيّة لاستخراج أفعاله الكلاميّة.

لقد اعتمد الإمام علي عليه السلام في خطابه على الخطاب غير المباشر، إذ إنّه في مواقف ليست بالقليلة يلجأ إلى استخدام الاستراتيجيّة الضمنيّة خاصّة عندما يريد إيصال ما في ذهنه على سبيل التمثيل والاستعارة والكناية، هادفًا لديناميّة نصّه. من المواقف التي يستعمل الإمام عليه السلام فيها الاستراتيجيّة التلميحيّة وأفعال الكلام في خطابه بشكل ضمنيّ موقف المواجهة مع مزاعم معاوية حيث يقول عليه السلام: «**وَأَمَّا تِلْكَ الَّتِي تُرِيدُ فَإِنَّهَا خُدْعَةُ الصَّبِيِّ عَنِ اللَّبَنِ فِي أَوَّلِ الْفِصَالِ؛ وَالسَّلَامُ لِأَهْلِهِ**» (نهج البلاغة، الرسالة

٦٤). جاءت هذه العبارة في رسالة بعثها الإمام علي عليه السلام إلى معاوية ردّا على مزاعمه عن قتل عثمان بن عفّان. أتى الإمام عليه السلام بهذا القول ليؤكّد فيه أنّ هذه الآراء كلّها مخادعة، فاستخدم في تشكيل مثله حرف التأكيد (أنّ) وزاد تأكيده باقترانه بالضمير «لأنّ ذلك يجري مجرى تكرير الإعلام في التأكيد والإحكام، إذ إنّ الشيء إذا أضمر ثمّ فسّر، كان ذلك أفخم له من أن يذكر من غير تقدمة» (الجرجاني، ١٩٩١م: ١٣٢). هذا الأسلوب التمثيليّ التأكيديّ ينقل المعنى انتقالًا متقنًا ويساعد على أن يفهم المخاطب الدلالة بوضوح. تدلّ صياغة المثل بالأسلوب الخبريّ على تأكيد المعنى، بمعنى أنّ الإمام يستعمل هذه الصياغة بشكل دقيق؛ لأنّ المتلقي بهذا الشكل يشعر بأهميّة القصد وهو قصديّة المؤلف التي تحدّد مسيرة النص واستراتيجيّته وتبعد النصّ من تعدّد القراءات (نورسيده وآخرون، ١٣٩٩: ١٣٦).

في هذا الخطاب يدور الفعل الكلاميّ حول الخديعة والحيلة. يصف الإمام عليه السلام أعمالَ معاوية بالمثل ليقرّر أنّ مطالبة معاوية بالثأر من قتلة عثمان ما هي إلّا حيلة أراد من خلالها أن ينقلب الرأيَ العام بالنسبة للإمام عليه السلام وخلافته رأسًا على العقب، كما يرمي إلى نقض البيعة ثمّ إقرار الإمام عليه السلام له على إمارة الشام تمهيدًا لاستلام الخلافة بعده. إذًا إنّ معاوية اتّخذ دمَ عثمان ذريعةً لعدم المبايعة ومعارضة الحكومة العلوية ثمّ الوصول إلى مبتغاه وهو القدرة. فمن هنا استعمل الإمام هذه الصورة الكنائيّة التي تلمّح إلى خداع معاوية للناس، ليسهل استقرار قصده في ذهن المتلقّي، كما تفعل الأمّ إذا حان وقت فطام الطفل عن لبنها، فالأمّ تضع على ثديها مادةً مُرّة أو شيئًا آخر؛ لكي ينفر الطفل من الاقتراب من ثديها ولبنها، وهكذا ينفطم عن الرضاعة. على هذا الأساس، إنّ دم عثمان عند معاوية وسيلة للوصول إلى هدفه، كما أنّ المادّة المرّة عند الأمّ هي وسيلة لفطم الطفل عن الرضاعة. انطلاقًا من هذا كلّه، القصد الظاهر الذي يتمثّل في الفعل القوليّ لهذا الخطاب هو مخادعة الأمّ لانفصال طفلها عن اللبن، ولكن إذا رجعنا إلى سياق الموقف، نلاحظ أنّ جواب الإمام عليه السلام يحمل قصدًا غير القصد الظاهري؛ قال ابن حديد في شرح هذه الرسالة: أراد به ما

كان معاوية يكرّر طلبه من أمير المؤمنين، وهو أن يقرّه على الشام وحده، ولا يكلّفه البيعة، قال: إنّ ذلك كمُخادعة الصبي في أوّل فطامه عن اللَّبَن بما تصنعه النساء له مما يكره إليه الثدي ويُسليه عنه، ويُرغبه في التعوّض بغيره (ابن أبي الحديد، ٢٠٠٧، ج١٧: ١٩٨). واعتمادًا على هذا السياق، اتّخذ الإمام عليه السلام الاستراتيجية التلميحية من أجل توفير دلالات كثيرة غير الدلالة التي توجد في بنية الخطاب. هذه الاستراتيجية التي تتحقق من خلال الفعل الكلاميّ غير المباشرة (الكناية) تساعد على تشكيل خطاب تفاعليّ بين المرسل والمرسل إليه، وتغيير الموقف الفكريّ والسياسيّ لدى هذا الأخير، كما يطلع المتلقي على حقيقة تتمحور على هذا الخطاب الجدليّ ثمّ يحدث تأثيرًا فكريًّا عليه.

جاء في كتاب آخر بعثه الإمام عليه السلام إلى عثمان بن حنيف عامل في مدينة البصرة في العراق وذكر فيه شتّى النصائح شديدة اللحن ويحثّه فيها على الابتعاد عن الدنيا وتزّهده فيها: «**إِلَيْكِ عَنِّي يَا دُنْيَا، فَحَبْلُكِ عَلَى غَارِبِكِ، قَدِ انْسَلَلْتُ مِنْ مَخَالِبِكِ وَأَفْلَتُّ مِنْ حَبَائِلِكِ وَاجْتَنَبْتُ الذَّهَابَ فِي مَدَاحِضِكِ**» (نهج البلاغة، الرسالة ٤٥). يشير هذا الخطاب إلى أنّ هناك نوعين من المخاطبين: الأوّل مخاطب مباشر وهو عثمان بن حنيف والثاني مخاطب غير مباشر وهو الجمهور الذين يواجهون مع هذا النص طوال التاريخ البشري. يحذّرهم الإمام عليه السلام من خلاله لعدم الوقوع في الملذات الدنيويّة والأهواء النفسيّة، بهذه اللغة النافذة التي يجيد في صياغتها وتصويرها الفنّي.

نلاحظ في هذه الفقرة من الرسالة الصور الفنيّة المختلفة التي تدلّ على تنفير الإمام عليه السلام والمخاطبين من الدنيا وما يتعلق بها. فقد شبّه الدنيا بأربعة أشياء للتنفير عنها؛ الأوّل: بالناقة المهملة التي يترك صاحبها في المرعى للرعي ثمّ حذف المشبه به، فجاء التشبيه على صورة الاستعارة بالكناية، كما جاء في التهذيب «كنايةٌ من كناياتِ الطلاق، أي اذهبي حيثُ شِئتِ؛ لأنّ النّاقةَ إذا أُلقِيَ حَبلُها عَلَى غَارِبها فَقَد فُسِحَ لها أن تَرعَى حُيثُ شَاءَت، وَتَذهبُ» (الشريفي، ١٣٨٤ش، ج٢: ٢٧١). والثاني بالحيوان المفترس الذي يكون سلاحه مخالب قوية، ثمّ حذف المشبه به، فصار استعارة

كنائية، كما شرحه الأسدي «استعارة بالكناية عن كونها كالأسد في جذبها للإنسان بما فيها الشهوات والقينات إلى الهلاك الأبدي كما يجرّ الأسد فريسته» (الأسدي، ٢٠٠٦م: ٥٥٨). والثالث بالصيّاد الذي وضع شراكه لصيد الحيوانات والطيور، ثمّ حذف المشبه به فقد تمثّل في صورة الاستعارة المكنيّة «كنّي بهذا الوصف المستعار عن كونها تصيد قلوب الناس بشهواتها وملذّاتها الفارغة وهي لها كحبائل الصائد» (البحراني، ٢٠٠٧م، ج٥: ١٠٨) والرابع بالوادي العميق الذي يتشكّل من المزالق والعقبة الخطيرة ثمّ حذف المشبه به وجاء على صورة الاستعارة المكنيّة «استعار لفظ مداحضها لشهواتها وملذاتها، بوصفها مزالق أقدام العقول عن طريق الله ومصارع لها» (الأسدي، ٢٠٠٦م: ٥٥٨). جاءت هذه الاستعارات المكنيّة وفقًا للفاهيم المطروحة لتقديم المفهوم المعنوي في الترك والطلاق، كما أنّه في بداية الخطاب يخاطب الدنيا وينابيها، ويأمرها بالابتعاد والتنحّي، ففي هذه الحالة جعل المادّة عاقلة وواعية ومنحها أحاسيس البشر وقدرتهم وانفعالاتهم وتتصرف كما يتصرّفون. لهذا كلّه تأثيره الأعمق على النفوس.

في الحقيقة تقدّم لنا هذه الصور الأربعة من المشاهد الحسيّة والحركيّة التي محورها هو الدنيا والتحذير والابتعاد عنها، كما أنّها تشكّل أيضا الأفعال القوليّة من هذه الفقرة والتي يجيد الإمام عليه السلام استخدامها أحسن استخدام. فعند وقوفنا على الأفعال القوليّة (**فَحَبْلُكِ عَلَى غَارِبِكِ، ... فِي مَدَاحِضِكِ**)، نجد فيها أسلوبًا خبريًّا واضحًا ومباشرًا متمثّلًا في بنية الجملة الاسميّة والجمل الفعليّة الماضوية المؤكّدة لإزالة الإنكار منها. أمّا غرضه الإنجازيّ المضمر فهو الانصراف عن الدنيا والابتعاد عنها، فإذًا هذه الأفعال القوليّة تحمّل قوّتين إنجازيتَين؛ الأولى ظاهرة إنجازيّة حرفيّة وهي الإخبار عن ترك الناقة في المرعى أو مخالب حيوان مفترس و...، والثانية مضمرة إنجازيّة مستلزمة غير مباشرة، وهي التحذير والتنحّي عن الدنيا، فمن هنا يختلف القوّة الحرفيّة في هذه الأفعال عن القوة الاستلزاميّة. وتبعًا لذلك، إنّ الاستزاتيجية التي استخدمها الإمام عليه السلام ضمنيّة والفعل اللغويّ المتمثّل جاء على نحو غير مباشر، بحيث يحقّق أمير المؤمنين عليه السلام عملًا إنجازيًّا متضمنًا في القول بواسطة الاستراتيجيّة التلميحيّة،

فيقصد ذلك الفعل غير المباشر وهو التنحّي عن الدنيا، ثمّ المخاطب يعلمه على أساس المعارف اللغوية وغير اللغوية المشتركة وبالتعويل على قدرات استدلاليّة وعقلانيّة. فعليه يتحقّق التواصل بين النصّ والمتلقّي أو المخاطب بأمرين؛ الأمر الأوّل: سياقات الكلام سواء أكانت خارجية؛ حيث بَعَثَ الإمام عليه السلام الرسالة في معرض العتاب لعامله عثمان بن حنيف، لمّا أخبره عليه السلام بأنّ عثمان دعي إلى وليمة، أم الداخليّة التي تتمثّل في بنية الخطاب الذي يتوقّف على الزهد في الدنيا والترغيب عنها. أمّا الأمر الثاني: فيعود إلى معرفة المتلقّي أو المخاطب بأحوال المتكلّم الذي يعرض عن الدنيا ويزهد فيها وهذا جزء من العلاقة بين المتلقّي والذات المرسلة. بعبارة أخرى، إنّ النصّ هو علاقة جدليّة بين المتوقّع الذي يتمثّل في الواقع «أي الخارج النصيّ» وبين اللامتوقّع الذي يتمثّل في التأسيس النصيّ، أي علاقة جدليّة مفارقة بين الداخل والخارج (عزيزي، أبوعلي، ٢٠٢٢: ٢٢٢).

ثمّ لإتمام المعنى يتابع الإمام عليه السلام ويؤكّد على ذلك القصد باقترانه مع الاستفهام: «**أَيْنَ الْقُرُونُ الَّذِينَ غَرَرْتِهِمْ بِمَدَاعِبِكِ؟ أَيْنَ الْأُمَمُ الَّذِينَ فَتَنْتِهِمْ بِزَخَارِفِكِ؟ فَهَا هُمْ رَهَائِنُ الْقُبُورِ وَمَضَامِينُ اللُّحُودِ**»(الرسالة ٤٥)، إذ إنّه يخرج من مداره الرئيس ويضمّن فيه الوعظ والإرشاد من خلال إظهار حقيقة ابن البشر ومغبّتها. لقد ظهرت صيغة الاستفهام هنا ليس بمعناها الذي تمثّلت في الفعل القولي على القوة الحرفية بل جاءت على معناها الضمنيّ على القوّة الاستلزاميّة وهو النصح والإرشاد وفقًا لما يقتضي السياق. في الحقيقة ذكر الإمام عليه السلام هذا الاستفهام، لإيقاظ النّاس على حقيقة مرّة قاسية، حيث إنّ الأقوام المنصرمة الذين خرجوا عن مسير الحقّ بملذات الدنيا الفانية وزينتها التي لا تبقى على داومها فقد انقرض الجميع واحتوت عليهم القبور ولا يستطيعون الخروج منها والفرار من عذابها. وذلك ليس إلّا للتنبيه لمن اعتبر، كما قال البحراني في شرحه: بعد الانتهاء من التحذير والتذكير شرع عليه السلام في التنبيه على الاعتبارات بأحوال القرون الماضية واستفهم عن مصير الأقوام والملل المنصرمة تنبيهًا على فنائهم واستفهامًا على سبيل التقرير (البحراني، ٢٠٠٧م، ج٣: ٣٩٠). على هذا

الأساس يخاطب الإمام عليه السلام المتلقّي من خلال الفعل الكلاميّ غير المباشر لتنبيهه كي يأخذ العبرة ويتجنّب أخطاء الماضين وعثراتهم، عن طريق رصيده التاريخيّ وتغذية المتلقي به.

جاء في رسالة له إلى مالك الأشتر عامله على مصر يقول فيها: «**فَلاَ تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ، وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لَهُمْ، وَتَفَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لاَ يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ الْعُيُونُ،...**» (نهج البلاغة، الرسالة ٥٣). هذا العهد يعدُّ من أهمّ العهود والرسائل التي يتناول فيها شؤون الحكم في الجناب السياسيّ والاقتصاديّ والحربيّ والاجتماعيّ والنفسيّ وبعض المفاصل الإداريّة التي تفتح عقدة من عقدات الناس. يكشف الإمام عليه السلام من خلالها عن عقليته النافذة وتجربته الواسعة كي يستفيد كلّ البشر من رسالته الإنسانية والمبادئ الإسلاميّة. فلا شكّ أنّ خطاب الإمام علي عليه السلام يسلط الضوء دائمًا على الروح الإسلاميّة والإنسانيّة والقرآنيّة، فنحن نتعلّم منه ونسير على منواله ونترك ما نهانا عنه لرفع التناحر والصراع من المجتمع. كما نلاحظ إنّ هذه الفقرة تشير إلى الآية قرآنية في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (المائدة: ١٨). إنّ الإمام عليه السلام في هذه الفقرة يعبّر عن حالته النفسيّة وشعوره، ويرى أنّ الإنسان عليه أن يمتلك فكرًا، لكي يعرف الحقّ ويساهم مع الناس أحسن مساهمة في بناء مجتمع كامل يسوده الصلح والسلام والعدل والاحترام، بعيدًا عن الظلم والبغي، وهذا يكون لكلّ أفراد المجتمع دون أيّ تمييز بين الفقير والغني أو الأدنى والأعلى؛ لأنّ الطبقة الدنيا أو الفقراء في المجتمع هم أكثر الأفراد الذين يتعرّضون للسحق والتهميش من الجانبَين الاقتصاديّ والمجتمعيّ، فلهذا أورد الإمام عليه السلام هذه النصيحة في هذا العهد ليولي الاهتمام بهذه الفئة الاجتماعيّة الذي لا يشكل النسبة الأصغر في المجتمعات البشرية.

كلّ هذه المعاني تمثّلت في الخطاب من خلال الأفعال الكلاميّة التي جاءت بصيغة طلبيّة إنشائيّة وهي (**فَلاَ تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ، وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لَهُمْ، وَتَفَقَّدْ أُمُورَ...**). فيستخدم الإمام عليه السلام هذه الصيغ في بنية خطابه عن طريق الفعل الكلاميّ

التوجيهيّ والذي «غرضه الإنجازيّ محاولة المتكلّم توجيه المخاطب إلى فعل شيء معين أو التزامه به، ويدخل في هذا الصنف النصح، والتشجيع، والأمر، و...» (أحمد نحلة، ٢٠٠٢م: ٥٠). فبنى الإمام عليه السلام نصيحته على أسلوب الطلب الذي يدلّ على الوجوب والندب، حيث ينهى عليه السلام من خلال هذه النصحية مالكًا عن أمر تارةً وتارةً أخرى يأمره بفعل آخر. هذه الأفعال كلّها تتمحور حول التكبّر والرفض، كما يبدو في عبارة (**وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّك لَهُمْ**)، فجاءت بصورة كنائيّة؛ فكنّي عن عدم التكبّر على أحد (الشريفي، ١٣٨٤ش، ج٢: ٣٠٥). فعلى هذا الأساس أنّ فعل القول (**وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّك لَهُمْ**) شكّل فعلًا كلاميًّا ذا وجهين؛ الوجه الأوّل: يحمل المعنى المباشر ويجعله دالّا على طلب «لوي العنق»، والثاني الذي يتمثّل في الفعل الكلاميّ غير المباشر ويدّل على التكبّر. فأسهمَ هذا الفعل الكلاميّ داخل هذا السياق، في النهي عن عدم الانصراف عن الفقراء والمحرومين والتشجيع على التعامل معهم والمساهمة في الأمور وعادة يستعمل الإنسان هذا المفهوم المعنويّ من خلال (تصعير الخدّ). لذا نستطيع أن نستنتج من خلال هذا الخطاب أنّ الإمام عليه السلام يستخدم لإيصال ما يريده إلى المخاطب أو المتلقّي الاستراتيجيّةَ الضمنيةَ التي تدلّ على زيادة في المعنى الإنجازي، كما أنّ سيرل أطلق على مثل هذه الزيادات بمعنى المتكلّم الذي لا نحصل عليه إلّا اعتمادًا على السياق والأرضيّة المشتركة حين تواصل الطرفين (أحمد نحلة، ٢٠٠٢م: ٨٥)، فمن هنا يقصد الإمام عليه السلام بالتواصل بشكل ضمنيّ مع متلقّيه من خلال الاستراتيجية التلميحية والتعبير عن شيء آخر غير المعنى الحرفيّ في النصّ،اللسيطرة على ذهن المتلقّي؛ لأنّ الفعل الكلاميّ غير المباشر أو استخدام الاستراتيجيّة التلميحيّة تتضمّن تداوليًّا يضفي على الكلام الفائدة؛ لأنّه يؤدّي إلى التفكير والعمل للوصول إلى الغرض الإنجازيّ الرئيس.

في رسالة له إلى سلمان فارسي قال عليه السلام: «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ الْحَيَّةِ، لَيِّنٌ مَسُّهَا قَاتِلٌ سَمُّهَا؛ فَأَعْرِضْ عَمَّا يُعْجِبُكَ فِيهَا لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا، وَضَعْ عَنْكَ هُمُومَهَا لِمَا أَيْقَنْتَ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا وَتَصَرُّفِ حَالاتِهَا؛ وَكُنْ آنَسَ مَا تَكُونُ بِهَا أَحْذَرَ مَا**

تَكُونُ مِنْهَا، فَإِنَّ صَاحِبَهَا كُلَّمَا اطْمَأَنَّ فِيهَا إِلَى سُرُورٍ أَشْخَصَتْهُ عَنْهُ إِلَى مَحْذُورٍ، أَوْ إِلَى إِينَاسٍ أَزَالَتْهُ عَنْهُ إِلَى إِيحَاشٍ؛ وَالسَّلَام.» (الرسالة ٦٨). يتمحور موضوع هذه الرسالة الصغيرة حول الدنيا، إذ إنّ بإمكاننا اختيار عنوان فرضيّ لها وهو الدنيا وتحقيرها. هذا يعود إلى أنّها تكون البؤرة المركزيّة في الخطاب، بحيث بدأ الإمام عليه السلام خطابَه بذكر الدنيا، كما يتابع أيضًا توصيفها بأوصاف متوالية وهذا يظهر من خلال الإحالات الضميريّة في (فيها، منها، همومها، فراقها، حالاتها، بها، منها، صاحبها، فيها والضمير المستتر في فعل «أَشْخَصَتْ") والتي كلّها تعود إلى الدنيا. وإضافة على ذلك إنّ العبارة الأولى (**فَإِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ الْحَيَّةِ**) هي التي توجّه الأذهان إلى المفهوم المعنويّ الرئيس في الخطاب، فعليه تعقب الجمل اللاحقة في إتمام المعنى للجملة الأولى؛ لأنّها تراكمت متتالية على ربط الأفكار والدلالات بالعنوان المفترض أو الفكرة الرئيسة.

الفعل الكلامي الذي ورد في الخطاب متشكل من الفعل القولي (**فَإِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ الْحَيَّةِ، لَيِّنٌ مَسُّهَا قَاتِلٌ سَمُّهَا**)، حيث جاء على الأسلوب الخبري المؤكّد لإزالة الإنكار عنه، فالفعل القصدي في مثل هذه الأساليب تندرج ضمن الإخباريات وفقا لما جاء في تصنيفات سيرل وهي الأفعال التي تقوم بنقل أو وصف ظاهرة ما في الواقع، فيحتمل فيها الصدق أو الكذب كما يلزم المرسل فيها بالنقل الأمين للواقعة والتعبير الصادق عنها(سيرل، ٢٠٠٦م: ٢١٧)، فعلى هذا الأساس، إنّ هذه العبارة تصف العالم الخارجيّ بتقرير وصفيّ؛ ففي هذه الحالة يعدّ الوصف والتقرير فعلًا كلاميًا مباشرًا يدرك من القوّة الحرفيّة أو المقاليّة التي وردت فيها صيغة الكلام المتشكّلة من الجملة الاسميّة المؤكّدة بـ (إنّما) التي تحمل إخبارًا عن الدنيا ومماثلتها بالحيّة، بيد أنّ غرض التحذير والإرشاد هو غرض أقوى وفقًا للتمثيل. بعبارة أخرى إنّ التمثيل الذي ورد في الخطاب أخرجه من معناه الحرفيّ إلى المعنى الاستلزاميّ، فينجز فعلًا كلاميًّا غير مباشر ضمن الخطاب، حيث حذّر الإمامُ عليه السلام سلمانَ الفارسيّ من الدنيا؛ لأنّها مكان للخداع والغدر فيه من الملذات والمفاتن التي تدفع الإنسان إليها وتسوقه إلى الاستفادة والتلذّذ بها منها والانغماس في الشهوات والمحرّمات غير الأخلاقيّة، كما أنّ

الحيّة بنعومة جلدها واختلاف ألوانها وأشكالها تخدع الإنسان وتغري به إلى لمسها؛ لأنّ من يقترب من الحيّة ويلمسها يعرّ نفسَه للخطر بأنيابها السامّة بل وحتى تقتله (الزبيدي، ٢٠١٧م: ٣١١). فعلى هذا فإنّ الدنيا عند الإمام عليه السلام دارُ المصيبة وموطن الغرور والخبث، لذا على الإنسان أن يتّقي شرَّها ويحذَر مغرياتها وإلّا قد يتعرض للهلاك ويخسر في الدنيا فضلًا عن الآخرة.

انطلاقًا من هذا، يمكن أن نستنبط من خلال هذا التمثيل أن يُفهم الكلام أكثر من معنى، فعلى المتلقّي أن يتخطّى المعنى السطحي ممثلًا في القوّة الحرفيّة والمعنى الإضافيّ المتضمّن في القوّة الاستلزامية ويكشفَ عن المعنى المختبئ وراء التراكيب الإضماريّة. هذه الميّزة الإضماريّة تمنح الخطاب أثرًا إيحائيًّا، كما تعطي المتلقّي أثرًا فاعلًا ويجعله يتجاوز سلسة من الاستدلالات العقلانية والفكرية، حتّى يستطيع فكّ الشفرات؛ لأنّ الوصول إلى المقاصد المخفيّة للخطاب بالأعمال الاستدلاليّة من جانب المتلقّي يحتاج إلى التأويل بالتجاوز من البنية الخطابيّة السطحيّة إلى البنية العميقة المضمرة، اعتمادًا على قرينة السياق والمناسبة القائمة بين المرسل والمرسل إليه، كما قيل: للتعرّف على القول المضمر ينبغي الاعتماد على السياق والاستعانة بقوانين الخطاب فضلًا عن إعمال الفكر والاستنباط من طرف المتلقّي لتحديد المعنى المستلزم المقصود من خلال العبارات اللغويّة وما تدلّ عليه من معانٍ ضمنية تلميحيّة (الشهري، ٢٠٠٥م: ٥١). هذا كلّه يجعل الإمام عليه السلام يختار الاستراتيجية التلميحيّة ويأتي خطابه على الطريقة غير المباشرة.

جاء في قوله عليه السلام من رسالة له إلى أبي موسى الأشعري عامله على الكوفة عندما أخبره أنّ الناس ينصرفون عن المشاركة معه في الحرب «**فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ قَوْلٌ هُوَ لَكَ وَعَلَيْكَ؛ فَإِذَا قَدِمَ رَسُولِي عَلَيْكَ فَارْفَعْ ذَيْلَكَ وَاشْدُدْ مِئْزَرَكَ وَاخْرُجْ مِنْ جُحْرِكَ**» (نهج البلاغة، الرسالة ٦٣). لقد أعجل الناس بعد حرب الجمل إلى أبي موسى الأشعري لاستشارته في أمر الخروج إلى الإمام عليه السلام في الحرب، فقال الأشعري «لا يحلّ لكم سلّ السيف لا مع علي ولا مع طلحة، والزموا بيوتكم، واكسروا سيوفكم، ليأتينّكم، وأنتم

في منازلكم بالكوفة أهل البصرة مع طلحة، ونأتينّكم نحن بأهل المدينة والحجاز، فيجتمع عليكم سيفان من أمامكم ومن خلفكم، فتكون تلك الداهية الكبرى التي لا شواة لها» (أبي الحديد، ٢٠٠٧م، ج ١٧: ١٦١).

لقد جاءت في هذه الفقرة أفعالُ القول بصيغة الأمر (**فَارْفَعْ ذَيْلَكَ، اشْدُدْ مِئْزَرَكَ، اخْرُجْ مِنْ جُحْرِكَ**). جاء في تعريف الأمر بأنّه طلب الفعل من جهة الاستعلاء وقد يخرج من الأمر إلى معان أخرى (فضل، ٢٠٠٤م: ١٥٣)، يحدّدها السياق الذي ورد فيه. لتحقّق صيغة الأمر يجب أن يتوفر الشرطين، أحدهما **الوجوب**؛ كما يعتقد أوستين «من أرجح معاني الأمر كونه يجعل من التلفّظ بالصيغة دلالة على الوجوب» (أوستين، ١٩٩١م: ٩١)، بمعنى أنّ شرط الوجوب يتحقّق من خلال إظهار الفعل بصيغة الأمر الحقيقيّة، فنلاحظ هذا الشرط في بنيته الخطابيّة لأفعال القول (**اَرْفَعْ، اشْدُدْ، اخْرُج**)، لكنّه التداوليّيون لا يكتفون بهذا الشرط فحسب، بل يعتقدون بأنّه لا بدّ من اقتران الصيغة بشرط السلطة بمعنى أنّ الآمر يجب عليه أن يكون أعلى درجة من المأمور اجتماعيًّا أو سياسيًّا أو دينيًّا؛ لأنّ من ميزات فعل الأمر أنّ مرسله لا بدّ من أن يكون أعلى درجة من المرسل إليه. وعليه نجد هنا شرطَي الوجوب والسلطة في خطاب الإمام عليه السلام، حيث إنّ الأوّل قد تحقّق من خلال الأفعال في الخطاب والثاني عن طريق زعامة الإمام عليه السلام سياسيًّا واجتماعيًّا آنذاك.

وأمّا بالنسبة إلى قوّتها الإنجازيّة لهذه الأفعال فتعوّل على الكنايات المؤلفة من الأمر ومفعوله في النصّ كما أشار إليها الشارحون:

الأولى: (فَارْفَعْ ذَيْلَكَ) هذه هي كناية عن التشمير للنهوض. والثانية هي **(اشْدُدْ مِئْزَرَكَ)**، هذه كناية عن اعتزال النساء ومفارقتها. **والثالثة** هي **(وَاخْرُجْ مِنْ جُحْرِكَ)**، هذه كناية عن الاستهانة بالأشعري لخوفه من الحرب (ابن أبي الحديد، ٢٠١٦م، ج١٧: ١٦١؛ الكيذري، ١٣٧٥ش، ج٢: ٥٦٤؛ البحراني، ٢٠٠٧م، ج٥: ٣٧١).

هذه الكنايات الثلاثة تدلّ على أنّ أفعال للأمر تنتقل قوّتها الحرفيّة إلى القوّة الاستلزاميّة؛ حيث إنّ السياق في الكنايات الثلاثة يُظهر أنّ أفعالَ الأمر لم تأت بصيغتها

الحقيقة وهي الاستعلاء، بل تكون دلالتها غير دلالتها الحقيقيّة. كما أشار الراوندي والكيذري في شرح النصّ، إلى أنّ الإمام عليه السلام يرسل الرسالة مستهينًا بأبي موسى الأشعري ثمّ عزله عن العمل عندما علم أنّه يثبط الناس عن طاعة الإمام وينهاهم عن السير معه لحرب أهل البصرة (الشيرازي، ١٤٠٢هـ: ٢١٧؛ الكيذري، ١٣٧٥ش، ج٢: ٥٦٥). في هذا السياق لا يمكن القول إنّ أفعال القول هذه تدلّ على المعنى الصريح. إضافة إلى ذلك إنّ الإمام عليه السلام يستعمل ألفاظ (**ذيل، مئزر، جحر**) في الكنايات، فإنّ هذه الألفاظ تدلّ على حالة التحقير والذلّة. حيث يقال عن «**الذيل**»: ذالت الجارية في مشيتها تذيل ذيلًا إذا ماست وجَرّت أذيالها على الأرض وتبخترت ... وقال: ذيل المرأة ما وقع على الأرض من ثوبها من نواحيها كلّها (ابن منظور، ١٤١٩ه، ج٤: مادة الذيل). لا نستعمل هذه الكناية للرجل؛ لأنّه لا يكون طويل الذيل بل طويل القميص الذي يسمّى بالجبّة. وعليه فإنّ الإمام قد مثّل حال أبي موسى بحال المرأة التي وقعت ثيابها على الأرض من جميع أطرافها وقوعًا فلا تتحرك بسهولة ثمّ تتحير في طريقها. فهذه تدلّ على أنّ الأشعري كالمرأة ذات الذيل لا يستطيع العزم بأمر الحرب لسبب من الأسباب. كما يقال عن «**الجحر**»: أَلجأْته إِلى أَن دخلَ جُحْرَهُ وجَحَرَ الضَّبُّ (المصدر نفسه، مادة جحر) في الحقيقة الإمام عليه السلام يستعمل لفظة «الجحر» بديلًا عن الغَيل أو الخيس الذي يقال للأسد ليصف الأشعري بالثعلب أو الضبّ، بوصفهما رمزًا للخوف في الثقافة العربيّة. أمّا عن «مئزرك» يقال: الأَزْر: القُوَّةِ والشِّدّة؛ وَمِنْهُ حَدِيثُ أَبِي بَكْرٍ أَنه قَالَ للأَنصار يَوْمَ السَّقِيفَةِ: لَقَدْ نَصَرْتُم وآزَرْتُمْ وآسَيْتُمْ. وأَزَرْتُ فُلَانًا آزُرُه أَزْراً قَوَّيْتُهُ، وآزَرْتُه عَاوَنْتُهُ، كما يقال: أَزَرَ بِهِ الشيءُ: أَحاطَ (المصدر نفسه، مادّة أزر). يعني مجالسة النساء والاعتزال عن الأعمال المعروفة للرجل.

تأسيسًا على ذلك، تتشكّل أفعال القول لهذه الفقرة من أفعال الأمر وتلك الألفاظ الثلاثة المجازيّة، حيث تؤلّف الكنايات الثلاثة التي تخرج القوّة الإنجازيّة لهذه الأفعال من القوّة الحرفيّة إلى القوّة الاستلزاميّة وهي التحقير أو الذلّة الموجهة إلى الأشعري، فلهذا تظهر قيمة التعبير الكنائي في قدرته على إسداء الدلالات الضمنيّة في الأفعال

القوليّة التي تعمل على تلميح الأفعال الكلاميّة بالقصد، فهذا لا يتحقّق بالعرف اللغويّ للدلالات بل يُعتمد على عمليّة سياقيّة للكشف عن مقاصد الكناية؛ لأنّ فعل القول في التعبير الكنائي يتميّز بالسيرورة فممارسة التفاعلات التأويليّة تخضع بما بين السياق اللغويّ والسياق الخارجيّ الذي يكشف عن ظروف الخطاب وملابساته.

لذا إنّ هذه الصورة الكنائيّة بوصفها استراتيجيّة عند الإمام عليه السلام يلمّح إلى قصديته وما في الخطاب من معان، من جهة، ومن جهة أخرى يمكن له توظيف طاقة حجاجيّة قويّة لحمل المتلقي على تجاوز المعاني البنيويّة إلى المعاني الضمنيّة؛ لأنّ الكناية من صور فنّية تُعنى بعرض الفكرة الأساسيّة في العمل الأدبيّ، اتضاحًا أكثر، حين تربط بالسياق الذي ترد فيه. فالسياق بأنواعه المختلفة يعين المخاطب على تلقّي ما تسعى إليه الصورة الفنيّة من عرض الأفكار والعواطف والظلال والمعاني وما تتجلّى من خلاله فكرة الأديب الأساسيّة ضمنيًّا (پرويني وآخرون، ١٣٩٢: ٢٩). لهذا يسير المتلقي في طريق استدلاليّ أو تأويليّ ليكشف الستار عن المعاني الخفيّة ومقاصدها، فمن هنا هذه الاستراتيجيّة التلميحيّة يكون تأثيرها أكثر وأقوى وتاليًا تصبح عمليّة التأويل عمليّة فعالة في الحدود التي رسمها المرسل.

من رسالة له عليه السلام إلى الْمُنذر بن الجارود العبدي، وقد خان في بعض ما ولّاه من أعماله: «**فَإِنَّ صَلَاحَ أَبِيكَ غَرَّنِي مِنْكَ، وَظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَّبِعُ هَدْيَهُ وَتَسْلُكُ سَبِيلَهُ؛ ... وَلَئِنْ كَانَ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ حَقّاً، لَجَمَلُ أَهْلِكَ وَشِسْعُ نَعْلِكَ خَيْرٌ مِنْكَ، وَمَنْ كَانَ بِصِفَتِكَ فَلَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُسَدَّ بِهِ ثَغْرٌ أَوْ يُنْفَذَ بِهِ أَمْرٌ أَوْ يُعْلَى لَهُ قَدْرٌ أَوْ يُشْرَكَ فِي أَمَانَةٍ أَوْ يُؤْمَنَ عَلَى جِبَايَةٍ**» (نهج البلاغة، الرسالة ٧١). أرسلت الرسالة إلى المنذر الذي كان واليًا على إصطخر ثمّ أُخبر أمير المؤمنين بسوء استخدامه لأموال الدولة، فعزله الإمام عليه السلام عن منصبه. جاء في شرح أبي الحديد عن المنذر أنّ «الكلمات التي ذكرها الإمام عليه السلام في أمر المنذر دالّة على تيهه وحماقته بل وحتى عجبه، فقال: «الناظر في عطفيه"، أي جانبيه، ينظر تارة هكذا وتارة هكذا، ينظر لنفسه، ويستحسن هيئته ولبسته، وينظر هل عنده نقص في ذلك أو عيب فيستدركه بإزالته، كما يفعل أرباب الزهو ومن يدّعي

لنفسه الحسن والملاحة» (أبي الحديد، ٢٠١٦م، ج١٧: ٢٢٠).

يدور الخطاب كما جاء في الشرح حول عدم كون المنذر أهلًا لما ولّاه من أمور الحكم وجاءت أفعال القول في هذا الخطاب (**فَإِنَّ صَلَاحَ أَبِيكَ غَرَّنِي مِنْكَ، وَظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَّبِعُ هَدْيَهُ وَتَسْلُكُ سَبِيلَهُ، فَلَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُسَدَّ بِهِ ثَغْرٌ أَوْ يُنْفَذَ**) فتؤكد على هذه القضيّة أفعال إنجازيّة مباشرة أو غير مباشرة. في بداية الأمر، إنّ الإمام عليه السلام يمدح أبا المنذر بأنّه في أعماله كان فردًا صالحًا. هذا يظهر في فعل القول (**فَإِنَّ صَلَاحَ أَبِيكَ ...**). لا يقصد الإمام مدح أبيه بل يلمّح بعتاب المنذر لأنّ هنا مقام مقام الذمّ أو تقريع المنذر، ثمّ يواصل الإمام عليه السلام تقريعه وعتابه بأفعال القول (**ظَنَنْتُ أَنَّكَ..**). هذا يدلّ عليه فعل الظنّ حيث إنّه عليه السلام قد زعم أنّ المنذر يسير في طريق أبيه أو في الصراط المستقيم. يُعرّف الظنُّ بأنّه الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض والشكّ، وقيل الظنّ أحد طرفي الشك بصفة الرجحان (السامرائي، ١٤٢٣هـ ج٢: ١٧). فهذ الظنّ أيضًا موجّه إلى تقريع المنذر. فتمّ ذلك أخيرًا بذكر فعل القول (**فَلَيْسَ بِأَهْلٍ**)، حيث إنّ هذه العبارة الأخيرة تأتي مباشرة وتظهر عدم أهليّة المنذر للحكم، حيث يمكن القول: إنّ الإمام عليه السلام جاء بمقدّمات يلمّح من خلالها العتاب والتقريع ثمّ ذكر هذه كلّها في النتيجة مباشرة. فعليه فإنّ الإمام عليه السلام يبدأ بخطابه بشكل غير مباشر لتقريع المنذر ثمّ ينتهي إليه بشكل مباشر. فالإمام عليه السلام يتّخذ استراتيجيّة لإظهار ذلّة المنذر وهذه الاستراتيجيّة تظهر بالتقابل القائم بين المنذر وأبيه ويصفه بالذلة والعزّة، فمن هنا فإنّ القوة الحرفيّة من الأفعال الإنجازيّة هي التقريع بالمنذر أو المدح لأبيه غير أنّ القوة الاستلزاميّة تظهر في إنجازيّة الذلّة في المنذر.

كما لاحظنا أنّه لم يكتف بتقريع المنذر فحسب وإنّما أمير المؤمنين كعادته يرافب عمّاله مراقبة دقيقة ويوصيهم بالكفّ عن الخيانة ويؤكد على ضرورة الإحسان إلى الناس وإسداء حقّهم. هذا الأمر أو -تحقير المنذر- يظهر أكثر في التمثيلين في (**وَلَئِنْ كَانَ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ حَقّاً، لَجَمَلُ أَهْلِكَ وَشِسْعُ نَعْلِكَ خَيْرٌ مِنْكَ**) فجَمَل الأهل وشِسْع النعل تمثيلان للذلة. جاء عن التمثيل الأوّل: لقد مات أبو الأسرة وترك جملًا لأهله

والأهل لم يتوافقوا على بيعه وتقسيم ما حصل منه من مال بل توافقوا على الاستفادة منه واحدًا واحدًا في حمل الأثقال يوميًا، فيصير ميراثًا لهم يسوقه كلّ منهم، ويصرفه في حاجتهم (حسيني البيرجندي، ١٤٢٣هـ ج١: ٢٦٠) فهكذا أصبح جمل الأهل تمثيلًا للذلة والإهانة، كما كان كذلك بالنسبة للتمثيل الثاني وهو شسع النعل. «الشِّسْعُ: أَحد سُيُور النَّعْلِ، وإِنما نُهِيَ عَنِ الْمَشْي فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ لِئَلَّا تَكُونَ إِحْدَى الرِّجْلَيْنِ أَرْفَعَ مِنَ الأُخرى، ويكونَ سَبَبًا للعِثار ويقبُح فِي المَنْظَر ويُعاب فَاعِلُهُ» (ابن منظور، ١٤١٩ه، ج ٨: مادة شسع)، فعليه شسع النعل تمثّل للذلة ليس ما بعدها ذلة. «فأمّا شسع النعل فضرب المثل بها في الاستهانة مشهور، لابتذالها ووطئها الأقدام في التراب» (أبي الحديد، ٢٠١٦م، ج١٧: ٢٢٠).

على هذا الأساس، تتحدّد إنجازيّة الفعل وفيه نوع من التلميح. لقد جاء التمثيلان هنا بشكل غير مباشر، حيث شبّه الإمامُ عليه السلام المنذرَ بجمل الأهل أي بكونه لعبة بيد فلان وفلانة، كما شبّهه أسفل شيء في أقدام المرء أي بشسع النعل. فمن هنا فقد اتّخذ الإمام عليه السلام الاستراتيجيّة التلميحيّة على طريق التمثيل وتضمّنت فيه فعل الذلة والتحقير، كما تتضح القوة الإنجازيّة غير المباشرة في التمثيل وهي قوة استلزاميّة تظهر من خلال الكشف عن علاقة المشابهة بين عنصر المَثِل والمَثَل. تكمن أهميّة التمثيل في قدرته على الاستمالة والتأثير في المخاطبين. كما أكّده الجرجاني بقوله: التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته كساها أبهة ... وضاعف قواها في تحريك النفوس لها... فإذا كان مدحًا كان أبهى وأفحم... وإذا كان ذمّا كان منه أوجع وميسمه ألذع... وإن كان حجاجًا كان برهانه أنور وسلطانه أقهر وبيانه أبهر (الجرجاني، ٢٠٠١م: ٨٥-٨٦).

وهكذا لاحظنا أنّ الإمام عليه السلام لم يستخدم فعلًا كلاميًّا مباشرًا لأفعاله الإنجازيّة في خطابه بل هو يلمّح إلى مقاصده في هذا الباب بشكل غير صريح أو بفعل كلاميّ غير مباشر فيكون التأثير في التلميح بالقصد أكثر وأشدّ؛ لأنّ أفعال الكلام التي تأتي في الخطاب غير مباشرة، تؤدّي إلى فعاليّة عمليّة التأويل، كما تستخرج النصّ من حالة

السكون إلى الديناميّة.

وفي نهاية المطاف نذكر في الجدول بعض الأفعال الكلاميّة غير المباشرة التي يستخدمها الإمام عليه السلام ضمن الاستراتيجية التلميحيّة.

الجدول ١: تحديد بعض الأفعال الكلاميّة وإنجازيتها الحرفيّة والاستلزاميّة

الفعل الكلامي	الإنجازيّة الحرفية	الإنجازيّة الضمنيّة التلميحيّة
فَكُنْتَ فِي ذَلِكَ كَنَاقِلِ التَّمْرِ إِلَى هَجَرَ أَوْ دَاعِي مُسَدِّدِهِ إِلَى النِّضَالِ	الوصف والتقرير: يحمل معاوية التمر من مدينة هجر إلى أخرى أو الدعوة من المعلم إلى النضال	السخرية والتهكّم: إعلام معاوية بأن يكفّ عن حمل الخبر إلى من أعلم منه
كَالْخَائِضِ فِي الدَّهَاسِ وَالْخَابِطِ فِي الدِّيمَاسِ	الوصف والتقرير: من اقتحم على الأرض السهلة ذات الرمل والبادية الدامسة بكل حجر دون الاطلاع على طريقه	التحذير: حذّر الإمام (ع) معاوية من الخوض في الفتن والشبهات والخدع وهذا نتيجة الضلالة والغيّ
قَلَبْتَ لِابْنِ عَمِّكَ ظَهْرَ الْمِجَنِّ	الوصف والتقرير: حين مواجهة الجيش مع العدو ظهور المجانّ إلى وجه العدوّ	الإخبار: عن التغيير والتبدّل
وَاعْلَمْ أَنَّ الْبَصْرَةَ مَهْبِطُ إِبْلِيسَ وَمَغْرِسُ الْفِتَنِ	الوصف والتقرير: الإخبار المؤكّد عن موطن الشيطان في البصرة	التحذير: مدينة البصرة هي بؤرة الفتنة وتبدأ المفاتن من البصرة
قَرَّتْ إِذاً عَيْنُهُ إِذَا اقْتَدَى بَعْدَ السِّنِينَ ...	الإخبار عن إقرار العين	إنكار الدنيا والاستهزاء بصاحب الدنيا

الفعل الكلامي	الإنجازيّة الحرفية	الإنجازيّة الضمنيّة التلميحيّة
أَمَّا قَوْلُكَ إِنَّ الْحَرْبَ قَدْ أَكَلَتِ الْعَرَبَ إِلَّا حُشَاشَاتِ أَنْفُسٍ بَقِيَتْ	الإخبار عن الحرب ووضعيتها و نتيجة استمرارها	التهويل والتخويف على بقاء الحرب
حَتَّى تَخْرُجَ الْمَدَرَةُ مِنْ بَيْنِ حَبِّ الْحَصِيدِ	الإخبار عن خروج كتلة الطّين الجاف من القمح لتنقيتها قبل الطعام	التنفير من المنافقين وأصحاب الفتن أي القضاء عليهم قبل اقتحامهم عليك
فَدَعْ عَنْكَ مَنْ مَالَتْ بِهِ الرَّمِيَّةُ	يأمر معاوية بأنّه يترك الذي يرمي إليه السهم	النصح والإرشاد بالنسبة لمعاوية لكي يترك من يفتن في أموره
فَالْبَسْ لَهُمْ جِلْبَاباً مِنَ اللِّينِ تَشُوبُهُ بِطَرَفٍ مِنَ الشِّدَّةِ	يأمر عمر بن أبي سلمة عامله في فارس بأن يغطى لباسا لطيفا يشوب بالشدّة	إرشاد عامله ونصحه في تصرّف مع الدهاقين تصرفا وصفا أي لاتقترب منهم كلّ القرب ولا تبتعد عنهم كلّ الابتعاد
.....	.....	.....
الجمع		٤١

كما نلاحظ في الجدول أعلاه أنّ الأفعال الكلامية لخطاب الإمام علي عليه السلام تتراوح إنجازيتها الضمنيّة في مختلف الأغراض كما يتبيّن في الجدول:

الجدول ٢: القوّة الاستلزاميّة للأفعال الكلاميّة في خطاب أمير المؤمنين عليه السلام

القوّة الاستلزامية	العدد	النسبة المئوية
النصح والإرشاد	١٨	٤٣,٩٠
التهديد والتحذير	١٤	٣٤,١٥
الإقرار	٤	٩,٧٦

القوّة الاستلزامية	العدد	النسبة المئوية
الإخبار	٣	٧,٣٢
السخرية والاستهزاء	٢	٤,٨٨
الجمع	٤١	١٠٠

يمكن أن يوضحَ ذلك الرسمُ البياني:

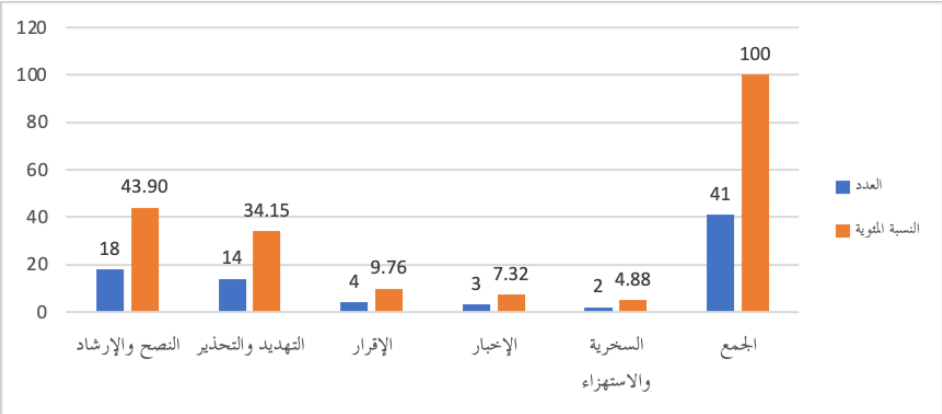

كما نلاحظ أنّ تردّد القوّات الاستلزاميّة للإرشاد والتحذير أكثر من غيرها من القوات ثمّ تأتي القوّة المتضمنة للإقرار والإخبار وأخيرًا السخرية .

النتيجة

بعد الجولة في خطاب أمير المؤمنين عليه السلام توصّل البحث إلى بعض النتائج إجابة عن السؤالين الأساسيَّين للبحث، فهي:

- نظرًا لتداوليّة مقاصد الإمام علي عليه السلام في رسائله المختارة، لا تنحصر الأفعال الكلاميّة فيها على معناها الحرفيّ، بل قد يتجاوز المعنى الحرفيّ إلى المعنى الضمنيّ. والأفعال الكلاميّة أيضا تحمل قوّة إنجازيّة غير مباشرة، تساهم في حركيّة النص وفعّاليّة عمليّة التأويل، كما أنّها تعمل على تحديد الاستراتيجيّة حيث إنّها ترتبط ارتباطًا وثيقًا بلغة الخطاب وسياقه.

- بالنسبة إلى الإستراتيجيّة التلميحيّة التي انتهجها أمير المؤمنين عليه السلام يمكن القول: بما أنّ تداخل هذه الإستراتيجية بالأفعال الكلاميّة غير المباشرة، فيظهر لنا عدم اقتصارها على دلالة واحدة في خطاب الرسائل فتتراوح بين الحرفيّة والاستلزاميّة لما فيه من سياق ومقام ومخاطب، فتتنوع فيه الدلالات بين واحدة إلى ثلاثة أو أكثر. فهذا يعود إلى قصديّة المتكلّم والسياقات وأحوال المخاطب.

- أراد الإمام عليه السلام من خلال الإستراتيجة التلميحيّة أن يكون تأثير أفعاله الكلاميّة أقوى في المتلقي؛ إذ لا يدعوه أو يأمره أو ينهاه بطريقة مباشرة وإنّما يجعل الخطاب غير مباشر لحصول المتلقّي على المعنى المقصود بالنظرة العميقة. بما أنّ غالبيّة رسائل الإمام عليه السلام هي خطاب سياسيّ، فقوّتها تقوم على إقامة الدليل على المُعارض، واستراتيجيّة التلميح وقوّتها الاستلزاميّة فيه تكون ذات امتداد وبعد اجتماعي ثمّ تحمل المخاطب على قبول قوّتها وتثبيتها في الذهن والنفس وبالتالي تخضع لنجاعة الإقناع أكثر وبشكل أفضل.

- ارتبطت المقاصد التلميحيّة عند الإمام عليه السلام بالأفعال الكلاميّة غير المباشرة، لكونها تعتمد على ثنائيّة الإظهار والإضمار من طريق انتقالها من الصريح (القوة الحرفيّة) إلى التلميح (القوّة الاستلزاميّة) لما تقتضي سياقات الكلام وكان هذا الأمر أظهر في الكناية، والتمثيل، والاستعارة وخروج الخبر من الوصف إلى الإنجاز أو على العكس. هذه المقاصد هي كما يلي:

النصح والإرشاد: هذه قوّة مضمّنة في فعل الكلام يتردّد في الخطاب (١٨) مرّة وتصل نسبتها المئويّة نحو (٤٣,٩) وهي أكثر استخدامًا من قبل الإمام (ع) في رسائله إلى العمّال، راميًا إلى تصحيح بعض الشؤون التي تظهر في التفكير الخاطئ بالذات الإلهيّة والمعضلات الاجتماعيّة والسياسيّة، فجاءت كثرة استخدامه له لكيلا يفسد قصده في هذا المجال. **التحذير:** هو ثاني المقاصد التي تستتستخدم بكثرة بعد النصح والإرشاد، حيث يتردّد في الرسائل المختارة (١٤) مرّة وتبلغ نسبتها المئوية نحو (٣٤,١٥). هذا المضمون يأتي أكثر في رسائله إلى معارضيه مثل معاوية وبعض عمّاله لاهتمامهم الزائد

بالدنيا، فالإمام عليه السلام يحذّر مخاطبه بكّل حزم، من مغبّة الدنيا والاغترار بها، وفي حين تقريع الدنيا عند الإمام عليه السلام ليس هدفًا بل إمعانًا في التنبيه والتحذير وهدفا للعظّة والعبرة. **الإقرار**: هو القوة المتضمّنة في الأفعال الكلاميّة التي يبلغ تردّدها (٤) مرّات. تكون نسبتها المئوية نحو (٩,٧٦). جاء هذا المضمون لإقناع مخاطبه وتبديد شكوكه من خلال استخدام الإمام عليه السلام للعناصر اللغويّة التأكيديّة بمثابة قوّة في تحقيق قيمة الكلام التأثيريّة. **الإخبار**: هو القصد التلميحيّ الآخر الذي يتردّد في الرسائل (٣) مرّات وتصل نسبته المئوية نحو (٧,٣٢)، وينجزه الإمام عليه السلام من خلال الأفعال المتضمنة في القول بالاستراتيجية التلميحية. في الحقيقة قد يستخدم الإمام عليه السلام مثلًا التمثيل أو الكناية أو الاستفهام في أسلوب خبري، لإعلان خبر ما. هذا ليجعل بنية الخطاب اللغويّة مشحونة بالعاطفة والإحساس وهذا ما يوثّر في المتلقّي حين تأويل النص وتفسيره، كما ينقل الدلالة بسرعة إلى المتلقي. أمّا القوة المتضمّنة في فعل الكلام الأخيرة فهي **السخرية والاستهزاء** والتي تتردّد في الخطاب المختار مرّتين (٢) وتبلغ نسبتها المئوية نحو (٤,٨٨). يكون لهذه القوة الاستلزاميّة أقّل تردّدا من غيرها من المقاصد؛ لأنّ الإمام عليه السلام يستخدمها أولًا في صياغة التمثيل وهو أقلّ استخدامًا مقارنة بالاستعارة والكناية والاستفهام، وثانيًا في بعض الأحيان نرى هذا الأسلوب للتنبيه وليس قصده الرئيس عليه السلام هو الاستهزاء.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- ابن أبي الحديد (٢٠٠٧م)، **شرح نهج البلاغة**، تح، محمد إبراهيم، الطبعة الأولى، بغداد: دار الكتاب العربي.
- ابن منظور (١٤١٩هـ)، **لسان العرب**، الجزء الرابع، بيروت: دار احياء التراث العربي.
- أحمد نحلة، محمود (٢٠٠٢م)، **آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر**، د.ط، مصر: دار المعرفة الجامعيّة.
- الأدواري، العياشي (٢٠١١م)، **الاستلزام الحواريّ في التداول اللسانيّ**، الطبعة الأولى، الرباط: دار الأمان.
- أوستين، جون (١٩٩١م)، نظريّة أفعال الكلام، د.ط، تر: عبدالقادر قينيني، د.مكان.
- البحراني، ابن ميثم (٢٠٠٧م)، شرح نهج البلاغة، الطبعة الأولى، قم: مركز النشر في مكتب الإعلام الاسلاميّ.
- پرويني، خليل وآخرون (١٣٩٢ش)، «الصورة الفنّية في رسائل الإمام علي (عليه السّلام) (دراسة في ثلاث رسائل من نهج البلاغة نموذجًا)»، مجلة آفاق الحضارة الإسلاميّة، السنة السادسة عشرة، العدد الثاني، صص ٢٣ – ٤٨.
- پور حمدانيان، علي، قهرماني مقبل، علي أصغر (٢٠٢٣م)، «صورة الآخر في ثلاثيّة أرض السواد لعبد الرحمن منيف «قراءة لصورة الآخر العثماني والإنجليزي والفرنسي»»، مجلة الدّراسات الأدبيّة (في اللّغة العربيّة والفارسيّة وتفاعلهما)، الدورة ٥٣، العدد ١٠٥، صص ٢٤٧- ٢٧٥.
- حجي الصراف، على محمود (٢٠١٠م)، في البرجماتية (الأفعال الإنجازيّة في العربيّة المعاصرة، الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة الآداب.
- حسيني البيرجندي، حسين (١٤٢٣هـ)، غريب الحديث في بحار الأنوار، الطبعة

الأولى، إيران: وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي.

- حمو الحاج، الذهبيّة (٢٠١٢م)، لسانيات التلفظ وتداوليّة الخطاب، الطبعة الثانية، القاهرة: دار المكتبة الإسلاميّة.
- الجرجاني، عبد القاهر (١٩٩١م). دلائل الإعجاز. ط١. تحقيق: محمود محمد شاكر. السعوديّة: دار المدني.
- ..... (٢٠٠١م)، أسرار البلاغة، الطبعة الأولى، تح: عبد الحميد هنداوي، بيروت: دار الكتب العلميّة.
- خضير، باسم خيرى (٢٠١٦م)، استرتيجيّات الخطاب عند الإمام علي (ع) مقاربة تداوليّة، الطبعة الأولى، كربلاء: مؤسّسة علوم نهج البلاغة.
- روبول، آن، موشلار، جاك (٢٠٠٣م)، **التداولية اليوم علم جديد في التواصل**، تر: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، الطبعة الأولى، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.
- الزبيدي، مجيد جبّار (٢٠١٧م)، رسائل الإمام علي (ع) في نهج البلاغة – دراسة حجاجيّة-، الطبعة الأولى، كربلاء: مؤسّسة نهج البلاغة.
- سيرل، جون (٢٠٠٦م)، العقل واللغة والمجتمع (فلسفة في العالم الواقعيّ)، الطبعة الأولى، تر: سعيد الغانمي، بيروت: الدار العربيّة للعلوم.
- الشريفي، سيد عبدالهادي (١٣٨٦ش)، التهذيب في **شرح نهج البلاغه**، الطبعة الثانية، قم: دارالحديث.
- الشيرازي، السيد محمد الحسيني (١٤٠٢هـ)، **تصحيح نهج البلاغة**، د.ط، طهران: دار تراث الشيعة.
- الشهري، عبدالهادي بن الظافر (٢٠٠٤م)، **استراتيجيّات الخطاب مقاربة لغويّة تداوليّة**، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.
- صحراوي، مسعود(٢٠٠٤م)، «الأفعال الكلاميّة عند الأصوليّين دراسة في ضوء اللسانيّات التداوليّة»، مجلّة الدراسات اللغويّة، المجلد٦، العدد٢، الجزائر:

جامعة الأغواط، صص ١٧٩- ٢٣٥.

- عزيزي، قاسم، أبو علي، رجاء (٢٠٢٢م)، «ائتلاف المختلفات وبنية الغموض في النصّ الشعريّ وفقًا لنظريّة الشكليّة قراءة سوسيونصيّة لقصيدة «زهرة الكيمياء» لأدونيس أنموذجًا»، مجلة الدّراسات الأدبيّة (في اللّغة العربيّة والفارسيّة وتفاعلهما)، الدورة ٥٢، العدد ١٠٤، صص ٢١٣- ٢٤٣.
- فضل، صلاح (٢٠٠٤م)، بلاغة الخطاب وعلم النص، د.ط: الكويت: سلسة الكتب الثقافيّة.
- الكوفحي، يوسف (٢٠١٦م)، «التلميح بالأفعال اللغويّة غير المباشرة في الخطاب القرآنيّ سورة المائدة نموذجًا»، مجلة دراسات العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، المجلّد ٤٣، الملحق ٤، صص ١٧٤١- ١٧٥١.
- الكيذري، قطب الدين (١٣٧٥ش)، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، الطبعة الأولى، تح: عزيز الله العطاردي، قم: دار الكتب الإسلاميّة.
- مقبول، إدريس (٢٠١٤م)، «الاستراتيجيّة الخطابيّة في السنة النبويّة»، مجلّة كليّة العلوم الإنسانيّة، المجد الثامن، العدد ١٥، صص ٥٣٢- ٥٦٣.
- ناجي، مهند بديع (٢٠٢٣م)، «الأفعال الكلاميّة غير المباشرة في جوابات الإمام علي (ع) في نهج البلاغة ومستدركه»، مجلّة اللغة العربية وآدابها، العدد ٣٨، صص ١٢٢- ١٤٠.
- نورسيده وآخرون (١٣٩٩ش)، » القصديّة في رسائل الإمام عليّ (ع) إلى معاوية في ضوء الأفعال الكلاميّة»، **مجلة دراسات في اللغة العربيّة وآدابها**، السنة الحادية عشرة، العدد ٣٢، صص ١٦١- ١٨١.
- يول، جورج (٢٠١٠م)، التداولية، تر: الدكتور قصي العتّابي، الطبعة الأولى، رباط: دارالأمان.